



لا يخفى علينا في العالمين العربي والإسلامي ما حل بإخواننا في سوريا من الخوف والظلم والألم والقتل والمعاناة في أمر صنوفها، ولا نشهد في صحائف هذه الجريمة العالمية النكراء إلا المزيد من القتلى والجرحى والهاربين والمشردين والتخاذل والتقاعس.

. معاناة لشعب لا ذنب له إلا رغبته في الحرية، وشوقه لغد أفضل، شعب سئم الذل فأراد أن يولد من جديد. جرائم قتل وتشريد ودماء وأشلاء، وحرمات تنتهك، وتحريك لأنسحة حرب ثقيلة لحرب شعب شبه أعزل. جريمة أخرى تبين عقم الضمير الدولي، وعجز المؤسسات الدولية، وانحيازها الساخر والسافر. جريمة أخرى تتحدى بدمائها وصرخاتها كل الآمال العربية المعقوفة في الجامعة العربية، ومنظمة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وكل من يدعى صداقته وحرصه وقرباته من الشعب السوري.

شعوب مسلمة بأكملها تئن وتتألم وتتوعد للمصاب السوري الجلل، شعوب عربية أبية مجاورة تشعر بالعجز وقلة الحيلة، بل لعلها عودت على هذا العجز، وأنسقت من كأس الوهن والذل والوهم، فخيل إليها أنه ما باليد حيلة، وأن الأمر برمته مرهون بقرارات المنظمات الدولية، فهذا يغضب، وآخر يصرخ، وثالث يقاطع، ورابع يتبرأ من الجريمة بكلمات رشيقه أنيقة. إنها صور لردود فعل تختلف في المظهر الكالح، وتلتقي في المخبر الواضح، وهو العجز الفاحض، واللام عمل، والتبعية، وتغييب القدرة، وعمق القرار، وانتظار الإذن، وتفانف اللوم.

دعاء قنوت النوازل سلاح من أسلحتنا الإيمانية، لا يستهان به أبداً، فيه مشاركة وجданية رقيقة، واستدرار المدد من الله، إلهنا ومولانا عز الناصر، وخذل القريب، وقل المعين، وخان المؤمن، وليس لها من دون الله كاشفة.

نرفع أيدينا بالدعاء إليك يا ربنا بأسي ووجل، وننزلها باعتراف فيه ذل وخجل.

أهذا جل ما نقدر عليه؟ أبلغ بنا العجز كل مبلغ؛ أحقاً أن الأبواب كلها قد سدت؟ أصدقأً أنه ليس باليد حيلة؟ أو يعقل أن تعقم أمة الإسلام التي أنجبت من شهدت لهم ميادين الوعى وملامح البطولة من الفحول والشجعان، والعلماء العاملين، والقادرة المبرزين؟

يا له من حال مؤسف، يشتت بعض ظلمته مصباح الأمل في دعاء كريم مسنون ومؤنس للأرواح النازفة، يحرك في النفس سؤالاً مؤلماً، اختفى أو أخفى لزمن، ولكن أبى إلا الظهور: من يقتل السوريين؟

## من يقتل إخواننا في سوريا؟

الجواب المباشر لهذا السؤال واضح وجلٍ: إن من قتل السوريين هو ذلك النظام الفاسد المستبد، وأعانه على جريمته عجز المنظمات الإقليمية، وظلم المنظمات الدولية، وكيلها بآلف مكيال ومكيال، ولكنني -بصراحة وأمانة - لاأشعر بارتياح كامل من هذه الإجابة بالرغم من وضوحها وصراحتها، ومحاولة البعض إقناع العالم بها.

هل هناك قتلة آخرون؟

أم لعله من الأسهل والأسلم -كما اعتدنا- إلقاء اللوم بعيداً عن دائرة الذات؟  
أو هل يصح ادعاؤنا بأن القتلة كلهم أتوا من الخارج؛ جسداً وروحاً ومنهجاً وتنظيمياً وانتماً وتجهيزاً؟  
أنكتفي بلومنا للحكومات والسياسات؟

أم لعلنا استمرأنا نظرية المؤامرة واعتبرنا وإنفنا كوننا شعوباً وحكومات ضحية للمكر الدولي والتخطيط الأجنبي الخارجي؟

من علمنا هذا العجز العجيب؟

من عودنا هذا الخور المعيب؟

من أشرب قلوبنا هذه الأنانية واللامبالاة والاستغراق في حدود ذواتنا الصغيرة؟

من علم روح الأخوة الإسلامية أن تقف مستسلمة متاخالة عاجزة أمام حدود معاهدة سايكس بيكر وحماتها البواسل؟

من أجاز لنا أن نحس بكمال الإيمان عندما نأكل ونشرب وجارنا يفترسه الخوف والقتل والجوع والمرض والعوز؟

من أجاز لنا أن نشاهد ما يجري ببرود وبلا عمل يذكر؟

أي فتوى تلك التي تريحنا من تأنيب الضمير لمقتل الآلاف من إخواننا في الدين والدم وتشريدهم؟

أي أخوة إيمانية هذه التي تتحدث عنها وندعوا الناس إليها؟

من علمنا أن نؤمن للذئب ونحن نشاهد فعله ومكره؟

من علمنا أن ننصر همنا وأنظارنا على يومنا ومشربنا ومائتنا وملبسنا؟

من علمنا أن نتعلم لنعلم وألا نتعلم لنعمل؟

من علمنا أن نصم آذاننا عن النذير العريان؟

من علمنا ألا نفكر في الغد وألا نعمل له وألا نعد له عدته؟

من علمنا كيف نكره بعضنا من أجل لعبة كرة سخيفة؟

من علمنا الاستهزاء بالجيران والاعتداد بالنفس وانتقاد الأخ لأخيه؟

من علمنا الخوف؟

من قتل الأمل في قلوبنا؟

من زرع اليأس في أرواحنا؟

من جهلنا بحقوقنا؟

من أفتى بجرائمها وإنثمنا إن طالبنا ببعض حقوقنا؟

من أقنعتنا بمكره وأبواقه بأن نرضى الدينية في ديننا؟

من نزع الغيرة الإيمانية من قلوبنا؟

من أخمد نار الحمية الدينية المحمدية في نفوسنا؟

من أخرس صوت العقل في ضمائرنا؟ ألم نتعلم من حال غيرنا؟

ألا يوقدنا من غفلتنا رؤيتنا للشياه والأبقار تقاد إلى مذبحها واحدة تلو الأخرى؟

ما الذي حصل؟ وهل تغير حال أمتنا فجأة؟ أم أن هذه نتيجة حتمية لمقدمات وضربات متواليات ومكر الليل والنهار؟ هذه أسئلة مؤلمة ملحة ومؤرقة نوجهها لذواتنا وعلمائنا ومفكرينا، ونأمل أن نجد في إجاباتها المخرج العزيز والمشرف من الألم السوري، بل نتمنى أن تتعدى فائدة الإجابة الحدود الوهمية والمصطنعة التي توهن الجسد المسلم وتضعف صفه.

إن في المشهد السوري المؤلم إيقاظ للغافل، وتعليم للجاهل، ودعوة الجميع للتأمل، والاستبصار، والاعتبار، وترسيخ لقناعات قديمة، وإبطال لأفكار ومناهج افتضح خوائها وثبت إفلاسها، وأن زمن أفالها، وأشرقت شموس حق وعمل ونصرة.

إلا فلنتأمل حالنا، ولنغيره أن شيئاً تغيير مآلنا، فمن قتل السوريين سوف يقتل غيرهم - بعد حين - إن لم يعتبروا، والشأن السوري كما يقر الحكماء ليس بظاهرة منعزلة عن محیطها، بل هو جزء من متلازمة أكبر، وحلقة من حلقات سلسلة متصلة بأينا أوائلها، ونسأل الله أن يكفيانا وينجينا من شر باقيها، **ولعل من أهم الخطى في مسلك النجاة سؤالنا بحق: من يقتل إخواننا في سوريا؟**

المصادر: